

امثاله ومن يقدر المنفعة العامة ويخدمها ولو كان ذلك يؤدى في بعض الاحيان الى ضرره الذاتي، فهو مبجل في جميع الازمنة في نظر امته ونظر الانسانية .
حكمت ائمة ظلماً على سقراط بشرب السم . فبدلاً من ان يركب العار ويفر من قانون امته رضي بحكم الجمهور وتجرع كأس الموت صابراً غير جازع فحب الامة وحسن المفادة بتنافعنا الخسيسة بجبها يجب ان ينير افئدتنا ويعلي مقاصدنا وما احسن ما كتبت على نصب قبر احد اولئك الابطال الذين فادوا بارواحهم في حرب ترمو بيل حباً بامتهم: ايها العابر اذهب وخبر اسباطة اتنا لم نمت في هذا المكان الا حباً باعلاء شرفها وتأبيد حريتها ! وهل فعلت الاعراب اقل من ذلك وما السائق الذي دفع طارق بن زياد ان يحرق المراكب وينادي بعسكره : الموت او الظفر ؟ وما الذي ساق محمداً المنصور الوزير الاندلسي الشهير ان يتمدد على الطريق ويصد الفارين بنفسه اذا لم يكن حب الوظيفة وحب الامة والوطن .
الفضيلة التي تأمر الانسان ان يضع نفسه دون مبادئه العالية هي من اول الفضائل التي سطرها التاريخ على صفحاته . فلنجد ايها الاخوان ؛ لاكتسابها فان لنا باكتسابها الفوز العظيم

ترعة السويس وتجارة الشرق

عرف أن التجارة اول نشأتها لم تتجاوز البحر المتوسط بل حُصرت في سواحل فتيقية وبلاد الكلدان والعربية وغيرها من بلاد المشرق ايام توفرت لديها المعارف والعلوم واينعت فيها ثمار الصنائع والفنون حتى صارت محط رحال التجارة بين المشرق والمغرب وخزينة الاموال ومورد الخيرات والمكاسب يهرع اليها الفاتحون من كل فج وصبوب ليشاطروها الارباح العظيمة ويسلبوها الصنائع العجيبة ويتهاافت عليها الغزاة تهافت الفراش على السراج ولكنهم ما كانوا ينتفعون بذلك بل كان تهافتهم وبالأعلى عليهم في كل آن .

وبقيت شآبيب المراكب والخيرات تنهل على الشرقيين فتندفق عليهم سيول الثراء من سحاب الكد والجد الى ان نظر اليهم الزمان بعين ملوؤها الحسد فالهم الافرنج ان يكتشفوا طريقاً جديداً الى الهند قال الامر الى فاسكودي غاما ذلك الرجل العظيم الذي وجد طريقاً حول رأس الرجاء الصالح وحول بذلك المشروع

جانباً كبيراً من تجارة الهند والصين ليسقي به ربوع الغرب فارتفعت من معينه انكلترا واسبانيا والبرتغال وهولاندة حتى عمت الفائدة اغلب اقسام اوربا وبقي للشرقيين مذ ذاك الوقت جزء يسير من التجارة يرد بطريق حلب ودمشق ومصر نظراً لما كانوا يحملون انفسهم على المخاوف والاختار ويركبون القرب والاهوال في طريقهم حول رأس الرجاء الصالح او افريقية واخذ يتزايد يوماً فيوماً الى ان فتحت ترعة السويس سنة ١٨٦٩ على يد ديسيس المهندس الفرنسي الشهير فدار بذلك دولاب التجارة وعم نفعها العالم غير انها مع كثرة منافعها اليه ما كانت لتخلو من مضار للسلطنة التي فتحت فيها وذابت بهج رجالها في حفر رمالها وعطلت من اجلها تجارتها بل كانت منفعتها لمن قاوم في انشائها اشد المقاومة الا وهي السلطنة الانكليزية التي استأثرت باكثر فوائدها .

اجل ان فتح تلك الترمعة كان سبباً من اهم الاسباب لتوسيع تجارة العالم وامتدادها لكن الذين باثروا ذلك المشروع وكابدوا فيه عرق القرية قد قلب لهم الدهر ظهر المجن وتبدل نعيمهم بالبوأس كما يشهد بذلك شرقي سورية واسفل العراق ومدبنة حلب التي كانت مركز المواصلات التجارية بين اوربا والهند قد فقدت واردات تجارتها وعكس ذلك البصرة اذ صار لها بطريق السويس اوسع الابواب لتصدير حاصلاتها كما تدلنا الآثار على ذلك .

كان طريق فاسكودي غاما الى الهند حول رأس الرجاء الصالح طريقاً خطراً يقرع فيه المسافرين كأس الضيم ونقشهم السفن فحم الملكات حتى كانت تراخي مدة السفن الذاهبة الى الهند فكانت تقضي في سفرها اكثر السنة ولم يكن وصولها معروفاً حتى المعرفة ولذلك أجبرت التجاران تخزين جانباً كبيراً من البضائع في مخازنها خذراً من ان لا يكون في مخازنها ما يفي بالمطلوب اذا ما أعيقت السفن عن الوصول اليهم في الوقت المعين . اما الآن وقد صارت مدة السفر ثلاثين يوماً لاغير فاستغنى التجار عن المخازن الكبيرة وابتدأت تطلب بضائعها من الشرق وهي على يقين من وصولها في الوقت المعين وزد على ذلك فان نقل الخنطة من الهند والعم من اوستراليا وزيلندا الجديدة لم يكن ممكناً قبل فتح الترمعة اما الآن فقد صار من اوسع ابواب التجارة .

وقد ادرك كثيرون من عظماء رجال العالم كرمسيس ونغو ودارا هشتاسب وبطليموس ونابليون وغيرهم مكانة تلك الترمعة التجارية فحفر رعمسيس الثاني سنة

١٣٠٠ ق ٠ م ثروة وصل بها فرع النيل البلوي بالبحر الاحمر وما كانت تصلح الا لتسريب المياه وربما كان ذلك مقصده الاكبر . وعزم نحو سنة ٦٠٠ ق ٠ م على تشييدها لولا ما انبأه العرافون ان بحفرها ينتفع بها اعداء بلاده وما قرره ايضا هندسوه من ان مياه البحر الاحمر اعلى من سطح مصر فخاف عندئذ على بلاده وتوقف عن حفرها بعد ما اهلك فيها نحو ٢٠٠٠٠ نفس من المصريين . ثم اشتغل بها دارا هشتاسب وبطليموس الثاني كما انبأنا التاريخ فحفرها تلك الثروة وبقيت الى ان ردمتها الرمال قبل ايام طربانرس فاصلحها في القرن الثاني وعادت الرمال فردمتها مرة اخرى الى فتوح العرب من سنة ٦٣٨ الى ٦٤٠ فاصلحها عندئذ عمرو بن العاص قائد جيوش عمر بن الخطاب ومحاها ثروة امير المؤمنين . ثم طمعا بعده الخليفة المنصور ابو جعفر ثاني الخلفاء العباسيين ليقطع الطعام عن محمد بن عبد الله حينما خرج عليه في المدينة فبقيت مطمورة من ذلك الحين الى ان احتفرها الحاكم بامر الله من الخلفاء الفاطميين في مصر وجعلها صالحة للملاحة حتى ردمتها الرمال مرة اخرى وبقيت الآثار تدلنا على ذلك .

ثم جاء نابوليون الى مصر ورأى آثار تلك الثروة فجعل في خاطره ان يحفرها فيقدر عندئذ ان ينقل جنوده الى الهند فيغير الانكليز على الخروج من تلك الديار وهكذا عرض مشروعه هذا على مهندس الموسيولو بير ووقع فيما وقعت به المصريون من قبل وقال ان سطح البحر الاحمر اعلى من سطح البحر المتوسط بعشرة امتار فاذا فُتحت الثروة خشى من طغيان الماء . فبقيت المسألة على بساط البحث الى ان قضت الاحوال بخروج نابوليون من مصر فسقط طبعاً مشروعه وخروج وهو يردد هذه الكلمات : « ان هذا العمل العظيم لم يقدر لي عمله ولعل الدولة العثمانية تسترجع عظمتها يوماً ما بتمامه » .

وظل مهندسو ذلك العصر يعتقدون بارتفاع سطح البحر الاحمر عن البحر المتوسط الى ان قام المهندس الفرنسي الشهير بوردالو سنة ١٨٦٤ وقرن ان لافرق بين ارتفاع البحرين فانفذت عندئذ فرنسا وانكلترا والنمسا لجنة موافقة من الموسيولايت والمستر ستيفنس والسينيور بخولي فيتحقق الامر عندئذ غير ان المهندس الانكليزي لم يثوب سياسة فتح تلك الثروة وخوفه انه يال الرمال عليها وخسارة الهند بذلك المشروع فعاد الى وطنه واضعف عزيمته مواطينيه فآثر فيهم كلامه

وعدلوا عن انشائها .

وبقيت تلك المسألة موضوع البحث الى ان قضت الامور بان يتم هذا المشروع الخطير على يد دي لابس المهندس الفرنسي بعد ما استقرى طويلاً ووقف على فحوى ما ارتأه المهندسون في ذلك المشروع وعرف ان تجارة البلاد تنضاعف بها كل عشر سنوات . وهكذا آلى على نفسه بان يفتح تلك الترعَة فألف شركة غنية تحت عنوان (شركة ترعة السويس العامة) لتقوم بهذا العمل فذهب الى الاستانة للسمي في هذا المشروع فلم يلقَ هناك الا ما يبيت الامل و يشط العزائم وهكذا آب الى بلاده نجلاً و بقي مدة في وطنه الى ان بلغه نولية سعيد باشا على مصر سنة ١٨٥٤ فأسرع اليه اذ كانت بينهما صداقة متينة العرى واقنعه بوجود فتح تلك الترعَة التي بها يتوسم نطق التجارة وتجر مصر ذبول الثراء فاثرفيه كلامه واقنعه بما قاله دي لابس وعقد امتيازاً مع تلك الشركة يليه اثنا عشر بندا اهمها ان مدة الامتياز ٩٩ سنة تبثدي من يوم فتح الترعَة وعند انقضاء المدة نستلم الحكومة جميع اعمال الشركة فتقوم مقامها في كل عمل و اضيف لهذا البند بانه يجوز للشركة اطالة المدة او تجديد الامتياز بشرط ان تزيد مائدته للحكومة من صافي الارباح وانها (اي الحكومة) تأخذ ١٥ في المئة من صافي الارباح عدا ربحها من الاسهم التي تكون لها واخمسه والثمانين الباقية من المائة يعطى منها ٧٥ للمساهمين و ١٠ في المئة للمؤسسين ثم ان الشركة تعين بالاتفاق مع الحكومة المصرية ما يؤخذ على السفن من رسم المرور من الترعَة ويحري هذا الرسم على سفن جميع الدول بلا تمييز

وفي ١٧ تشرين الثاني سنة ١٨٦٩ فُتحت الترعَة لمرور المراكب فاجتازها خمسون سفينة باحتفال عظيم اعد فيه اسماعيل باشا معدات عظيمة ودعا اليه ملوك اوربا وامراءها فصرف لذلك الاحتفال اموالاً طائلة كانت سبباً من اهم الاسباب لتأخر صندوق الحكومة المصرية في ذلك الحين . وهكذا ابتدأت الشركة ورأس مالها ٢٠٠.٠٠٠.٠٠٠ فرنك مؤلف من ٤٠.٠٠٠ سهم سعر السهم ٥٠٠ فرنك بعد ما تعددت عليها المعاكسات وتوقفت عن العمل مدة سنتين وحكموا بتلك المسألة امبراطور فرنسا في ذلك العهد فرجع الامر الى من يقوم به وعادت الشركة للعمل بهمة ونشاط ونجحت نجاحاً عظيماً لم تنجحه قط شركة مساهمة مثلاً

السنة	عدد البواخر	الرسوم المحصلة بالفرنكات
١٨٧٣	١١٧٣	٢٢٠٨٩٧١٣١٩
١٨٧٤	١٢٦٤	٢٤١٨٠٩١٣٨٣
١٨٧٥	١٤٩٤	٢٨١٨٨٦١٣٠٢
١٨٧٦	١٤٥٧	٢٩٤٩٧٤٠٩٩٨
١٨٧٧	١٦٦٣	٣٢١٧٧٤١٣٤٤
١٨٧٨	١٥٩٣	٣١١٠٩٨١٢٢٩
١٨٧٩	١٤٧٧	٢٩١٦٨٦١٠٦٠
١٨٨٠	٢٠٢٦	٣٩٠٨٤٠٠٤٨٧
١٨٨١	٢٧٢٧	٥١١٧٤١٣٥٢
١٨٨٢	٣١٩٨	٦٠١٥٤٥١٨٨٢
١٨٨٣	٣٣٠٧	٦٥٠٨٤٧٠٨١٢
١٨٨٤	٣٢٨٤	٦٢١٣٧٨١١١٥
١٨٨٥	٣٦٢٤	٦٢١٢٠٧٠٤٣٩
١٨٨٦	٣١٠٠	٥٦١٥٢٧١٣٩٠
١٨٨٧	٣١٣٧	٥٧٠٨٦٢١٣٧٠
١٨٨٨	٣٤٤٠	٦٤١٨٣٢١٢٧٣
١٨٨٩	٣٤٢٥	٦٦٠١٦٧١٥٧٩
١٨٩٠	٣٣٨٩	٦٦٤٩٨٤١٠٠٠
١٨٩١	٤٢٠٧	٨٣١٤٢٣١٠١
١٨٩٢	٣٥٥٩	٧٤٠٤٥٢١٤٣٦
١٨٩٣	٣٣٤١	٧٠١٦٦٧١٣٦١
١٨٩٤	٣٣٥٢	٧٣١٧٧٦١٨٢٧
١٨٩٥	٣٤٣٤	٧٨١١٠٣١٧١٧
١٨٩٦	٣٤٠٩	٧٩١٥٦٩١٩٩٤
١٨٩٧	٢٩٨٦	٧٢١٨٣٠١٥٤٥

سنة	عدد البواخر	الرسوم المحصلة بالفرنكات
١٨٩٨	٣٥٠٣	٨٥٦٢٩٤١٧٦٩
١٨٩٩	٣٦٠٧	٩١٦٣١٨١٧٧٢
١٩٠٠	٣٤٤١	٩٠١٦٢٣٣٦٠٨
١٩٠١	٣٦٩٩	١٠٠٦٣٨٦١٣٩٧
١٩٠٢	٣٧٠٨	١٠٣١٧٧٢٠٦٠٢٠
١٩٠٣	٣٧٦١	١٠٣١٦٢٠٦٢٦٨
١٩٠٤	٤٢٣٧	١١٥٦٨١٨٦٤٧٩
١٩٠٥	٤١١٦	١١٣١٨٦٦٦٧٩٦
١٩٠٦	٣٩٧٥	١٠٨١٦١٦١٨٩٦
١٩٠٧	٤٢٦٧	١١٦٦٠٠٠٦٠٩٦
١٩٠٨	٣٧٩٥	١٠٨١٤١٣٦٤١٠

بيروت

حبيب جرجي كماله

اوضاع الدولة الفاطمية

مقتبسه من الدروس التي يلقاها الشيخ محمد الخضرى مدرس
تاريخ الامم الاسلامية في الجامعة المصرية

الصناعة والاسطول

الصناعة هي المكان الذي أُنشئ المراكب البحرية وهي بمصر على قسمين
نبيلة وحرية فالحرية هي التي تنشأ لغزو العدو وتشحن بالسلاح وآلات الحرب
والمقاتلة فتسر من ثغر الاسكندرية وتمر دمياط وتيس والفرما الى جهاد الروم
والفريج وهي التي كان يقال لها الاسطول واما النبيلة فانها تنشأ لتمر في النيل صاعدة
الى أعلى الصعيد ومنحدرة الى أسفل الارض لحمل الغلال وغيرها

ولم يكن غزو البحر في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ولا في عهد الشيخين
ابي بكر وعمر وكان عمر يكره الغزو فيه ويراه مخاطرة وكتب الى عمرو بن العاص
وهو على مصر ان صف لي البحر وراكبه فان نفسي تنازعني اليه وانا اشتهي خلافها